

## صورة الآخر الحميم في رواية ساق البامبو لسعود السنعوسي

د. محمد بن علي الحسون  
جامعة الإمام الإسلامية - السعودية

### مقدمة:

أصبحت الرواية في العصر الحديث الفن الأكثر قدرة على سرد تعقيدات الحياة المعاصرة، ورصد تحولاتها من خلال المصائر المختلفة لحيوات البشر في مختلف المجتمعات، والرواية بوصفها سرداً تعبيرياً، تتوفر على العديد من الأساليب الفنية والخيالية التي تمنح القارئ مساحة من المتعة، وقدرةً على إدراك وتفهم الحياة الإنسانية التي يعيشها البشر.

لهذا تمثلت الرواية العربية المعاصرة فضاءات لا نهائية للتجريب الأسلوبي، كي تستجيب لمختلف صور الحياة التي تجسد موضوعات مختلفة، ونماذج إنسانية متعددة، بتعدد صور تلك الحياة التي يعيشها البشر، وما يتصل بها من وقائع وحوادث ومناسبات خاصة، وغيرها من العوامل المحفزة لكتابة الحياة عبر السرد.

ومن أهم موضوعات الرواية العربية التي ارتبطت بنشأتها الأولى: قضية (الآخر) والتعبير عنه من خلال مجموعة من الروايات الرائدة.

بيد أن (موضوع الآخر الحميم) لم يتبلور في الرواية العربية، على النحو الذي تبلور فيه موضوع (الآخر المغاير) فالآخر الحميم هنا بوصفه يشاطر الذات جزءاً من صفاتها الجوهرية، ربما كان موضوعاً لا يزال في إطار التشكل

روائيا، ليس فقط في مجال الرواية الخليجية فحسب، بل وربما في الرواية العربية أيضاً.

ومن هنا فإن تأمل ملامح صورة الآخر الحميم في بعض الروايات العربية سينطوي على اكتشاف مجال حيوي لمفهوم رؤية الذات نفسها، وفقا للحقيقة المتصلة بمعنى الهوية المتكاملة للذات؛ إذ أن كل ذات لا يمكن أن تعرف خصائصها الكاملة إلا من خلال الآخر، سواء أكان ذلك الآخر؛ آخر مغايرا أم آخر حميماً.

كما أن فضاء الاتصال بالآخر أصبح في زمن العولمة - لاسيما في بلدان الخليج العربي - أكثر ارتباطا، وحميمية، عبر العديد من فرص التواصل واللقاء في مختلف مجالات العمل والحياة.

إن موضوع رواية ساق البامبو للروائي الكويتي سعود السنعوسي<sup>1</sup> المتصل بصورة الآخر الحميم، يمثل حالة جديدة في الكتابة الروائية - لاسيما في الخليج - وتتبع تلك الصورة في نص روائي يعكس بالضرورة تمثلات مختلفة لذلك الآخر، بطريقة تصبح معها الكتابة عن الآخر الحميم ضربا من كتابة الذات نفسها في صورة الآخر.

وتكمن الإشكالية الأساسية البحثية هنا في: محاولة تتبع صورة الآخر الحميم في رواية ساق البامبو وتأمل دلالاتها، ومستوياتها من أجل الإجابة على جملة من الأسئلة التي تطرحها تلك الرواية في تمثيلها لحالة الآخر الحميم . وسيستخدم هذا البحث في مقارنته للموضوع معطيات المنهج الثقافي للكشف عن ملامح صورة الآخر الحميم، وخصائصها، ومستوياتها، من خلال الرؤية التي بنى بها المؤلف روايته.

1- تتحدث الرواية عن جوزفين القادمة من الفلبين للعمل كخادمة في منزل أحد أثرياء الكويت، وسرعان ما يتعلق بها الابن راشد المدلل الوحيد للعائلة الثرية، فيقرر الزواج منها بعد قصة حب.

يتزوج راشد من الخادمة بشرط أن يبقى الزواج سراً، ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فتحمل جوزفين وتلد ابناً أسمته خوسيه، ولكن الأب يتخلى عن ابنه، ويقرر سفرها مع ابنها إلى الفلبين وهو لم يتجاوز السنتين، مع وعد بأن يستعيده إلى الكويت عندما يكبر. في الفلبين يعيش الطفل حياة صعبة، وعندما يكبر يقرر العودة إلى بلاد أبيه الكويت وهو في عمر الثامنة عشرة، الأرض الحلم أو الجنة كما صورتها له أمه منذ كان طفلاً، ومن هنا يبدأ فصل آخر من الرواية، وحين يصل هوزيه إلى الكويت، بعد موت أبيه أثناء مقاومته للاحتلال العراقي للكويت، تكون تلك العودة نتيجة لوفاء غسان - صديق والده - الذي قام بمهمة عودة هوزيه إلى الكويت، وحين يصل هوزيه للكويت، لا تعترف عائلة أبيه به، وتتنكر له، لاسيما جدته لأبيه، وبعض عماته، ويقع أمام تناقضات تجعله في حيرة شديدة من عدم تقبله كأحد أفراد عائلة (عيسى الطاروف) كما يصبح حاجز اللغة عائقاً آخر يوقعه في مفارقات وتصرفات يصبح عاجزاً عن تفسيرها، يضطر (عيسى / هوزيه) إلى التعايش مع هذه الحال، فيعيش في مكان سري ومعزول من منزل العائلة كأحد الخدم الفلبينيين عند آل عيسى الطاروف ولا يلتقي إلا بأفراد العائلة، ويختفي عند حضور الجيران والأقارب، يتمنى عيسى / هوزيه من كل قلبه أن تتقبله عائلة أبيه، فيما تأبى هذه العائلة عن قبوله، ولا تتعاطف معه إلا أخته من أبيه، وإحدى عماته فقط. في إحدى مناسبات العيد حين تنادي عمته ابنها عيسى الصغير - أثناء وجود أقارب العائلة وأصهارها - يظن عيسى أنه هو المقصود فيظهر أمام الجميع مسبباً حرجاً بالغاً أمام استغراب أزواج عماته في دخوله

المفاجئ وسطهم وبين نساءهم، فتتدارك عمته الموقف لتطلب منه أن يحمل بعض الأغراض إلى السيارة بوصفه خادماً، ثم تقرر العائلة أن يسكن عيسى بعيداً عن المنزل في الحي نفسه لتستأجر له شقة، ويجد له عملاً بإحدى المطاعم، ومن هناك يرصد عيسى بعض أحوال المجتمع الكويتي بغرابة، وحين يلتقي بأحد الكويتيين الذين التقاهم في الفلبين تتجدد علاقة صداقته معهم في الكويت فيفرح بتلك العلاقة، لكنه حين يعرف نشاط أصدقائه في الانتخابات الكويتية لصالح عمته هند الطاروف لا يكتفم السر؛ فيصارحهم بأنها عمته، وهنا تصل تناقضات الرواية إلى ذروتها حيث تهدده عمته بالعودة إلى الفلبين لكنه يصر على أنه ابن راشد الطاروف ويشهر أمامها ورقة عقد زواج أمه جوزفين من أبيه راشد، في النهاية يعجز هوزيه/ عيسى عن الاندماج في المجتمع الكويتي، بقدر محاولاته المستميتة في أن يكون أحد أفراد عائلته الصغيرة ومجتمعه الكبير، لكنه يجد نفسه معزولاً ومنبوذاً في هذا المجتمع نتيجة لطبيعة هذا المجتمع الذي لا يتقبل ملامحه الفلبينية، فيضطر للعودة إلى الفلبين، ويتزوج من بنت خالته، وتكون المفاجأة في النهاية حين ينجب ولده راشد الذي يحمل سحنات جده راشد الطاروف!

ب- صورة الآخر في الرواية العربية: إن الآخر في أبسط صورته هو مثل أو نقيض الذات أو الأنا<sup>2</sup> ولا شك في " أن ما يشهده العالم اليوم من تجاذبات سياسية وصراعات طائفية، ونزاعات عنصرية، انعكس أثره على الذات التي شعرت في كثير من الأحيان أنها في صراع مع الآخر المختلف عنها دينياً أو أجناسياً أو ثقافياً أو حضارياً؛ فتباينت المواقف تجاه هذا الآخر المختلف عنها دينياً وسياسياً.<sup>3</sup>

سجلت الرواية العربية نصوصاً سردية متعددة في الكتابة عن موضوع الآخر ضمن المتن السردية في تلك الروايات، وكان هذا الآخر في الأغلب الأعم هو الغرب الاستعماري، والغرب الحضاري فيما بعد.

وفي الغالب "تتطلق هذه الثنائية من أيولوجيا فكرية، فلسفية، تعكس أزمة الذات العربية في مواجهة الآخر الأجنبي".<sup>4</sup>

وقد سيطرت هذه الثنائية على كثير من الأعمال الروائية العربية، انطلاقاً من الشعور بضياع الهوية والبحث عن ذات مفقودة أمام آخر يسيطر على العالم من حولها، إذ أصبح "مالكاً للأرض بالقوة، فهو المانح الأخير للمعاني، والمقاصد، والشروعات، ونتج عن ذلك تزييف المسار التاريخي للجماعات الأصلية، ووصف ملفق لأحداث الماضي، وأصبحت معرفة الآخر تتقدم على معرفة الذات".<sup>5</sup>

"الرواية العربية بحثت عن ذاتها مقابل الرواية العالمية محاولة تأصيل جذورها أو رسم ملامح خاصة لها، لذلك لجأ الروائيون العرب في أعمالهم للبحث عن تلك الذات العربية سواء في ملامحها المضمونية أو صياغتها الفنية".<sup>6</sup>

ولقد كان لصورة الآخر بحسب بعض أشهر الروايات التي تطرقت لها خصائص متعددة عبرت عنها تلك الروايات وشكلت منها تمثيلات عكست الكثير من تناقضات الرؤية العربية للآخر الغربي، فكانت بعض تلك التمثيلات تضع الكاتب العربي أمام تجارب "ترده رداً عنيفاً إلى وعيه، وتسدل الستار على مرايا منكسرة، هي مرايا الغرب، تارة يرى فيها الشرقي نفسه جميلاً، وتارة أخرى قبيحاً".<sup>7</sup>

ويري بعض النقاد "أن كل آخر في الرواية يعد نقطة صراع تختلف في أبعادها، وتؤكد بدرجات مختلفة، أزمة المجتمع في هذا الآخر، وإن تباينت الرؤى الجزئية عند الكاتب، أو اختلفت طبيعة المعالجة حسب مراحل نمو

التجارب الروائية ذاتها، فرؤية الروائيين رؤية ذاتية غير أنها رؤية إرث ديني وحضاري وثقافي واجتماعي تجعل الفرد الكاتب أو غيره جزءاً من منظومة أكبر يدور في فلكها هذا الفهم المعقد والمركب للآخر".<sup>8</sup>

ولعل من أبرز الملامح التي عكست صورة الآخر / الغرب في الرواية العربية: تجنيس العلاقة، إذ صورت الروايات الأولى في هذا الصدد صورة الآخر ضمن علاقة الأنوثة والفحولة بحيث يترمز الغرب في تلك الروايات كأنثى في الغالب، فيما يترمز الشرق كرجل فحل، أي عبر إضمار العلاقة بين الغرب والشرق "من خلال تجنيس العلاقات الحضارية".<sup>9</sup> كما جسدت جملة من الروايات العربية رؤى مختلفة للآخر الغربي لعل أبرزها بحسب تلك الروايات هي: الرؤية الانبهارية: وهي تلك الرؤية التي تقوم على الدهشة والانبهار، أو "تلك النظرة الأولى لأننا وهي تتأمل منجزات الآخر المماثل أو المخالف،... ونستحضر رواية رفاة الطهطاوي: تخليص الإبريز في تلخيص باريز.<sup>10</sup>

الرؤية الحضارية: الرؤية الحضارية تعكس إقراراً بالتقدم على صعيد المدنية والتقنيات الحديثة، والنظم، مع الإدراك بحقيقة الفارق الحضاري بين الشرق والغرب، و"هذا ما عبرت عنه الكثير من الروايات العربية بشكل واضح وجلي كرواية الحي اللاتيني لسهيل إدريس، وموسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح، وعصفور من الشرق لتوفيق الحكيم، والأيام لطفه حسين، وقنديل أم هاشم ليحيى حقي".<sup>11</sup>

**المبحث الأول: الآخر الحميم كتحدٍ مستفزٍ للذات في رواية ساق البامبو:**  
الآخر الحميم هو آخر خاص ومختلف عن الآخر المغاير، فهو ذلك الآخر الذي يشارك الذات إحدى خصائصها الجوهرية، أي ذلك الآخر "الملتبس في اختلافه والملابس في تماثله، فهو التحدي والإشكال، وهو التهديد المائل

دوماً" <sup>12</sup>، ولهذا تحاول الذات إثبات اختلافها عن الآخر الشبيه عبر نفيه وتغييبه، لأن في وجوده أمامها تذكير بذلك الشبه.

فكل ذات تنفي آخرها الشبيه الملابس لها في إحدى صفاتها الجوهرية؛ كصلة القرابة مثلاً، لاسيما في ظل مفاهيم وتصورات تحكم وعي الناس وعقلهم الباطن عبر الإعلاء من شأن الذات المتماهية مع نفسها وأصلها الواحد. وإذا كانت كلمة (حميم). بحسب قاموس المعاني تعني: "قريبٌ تودُّه ويودُّك، قريبك الذي تهتمُّ لأمره" <sup>13</sup>، فإن معنى الآخر الذي يأتي كمضاف إليه في مصطلح (الآخر الحميم) هو الذي سيجعل من ذلك الود والاهتمام تقيضاً يتجلى عبر الكره والإهمال.

وهكذا سنجد هذا المعنى المتصل بوعي الآخر الحميم، كأخر يجب نفيه وتغييبه لئلا يذكر الذات بما يشبهها فيه، هو المعنى الذي يجد تمثلاته في المجتمعات ذات الأصل الواحد، فانتماء الذات لذلك الأصل الواحد الذي تفرضه سردية جماعية تنهض على السمعة ونقاء الأصل سيجعل من تقبلها للآخر الحميم أو الاعتراف به هدماً لتلك السردية، وبما أن السردية هي "نمطٌ من الخطابات التي تتمركز حول افتراضاتها المسبقة ولا تسمح بالتعددية والاختلاف حتى مع تنوع السياقات الاجتماعية والثقافية، فضلاً عن أنها تتكرر إمكانية قيام أي نوع من أنواع المعرفة أو الحقيقة خارجها وتقاوم أي محاولة للتغيير أو النقد أو المراجعة. تقف تلك الخطابات أو السرديات الكبرى خارج الزمن ولا تسمح بالشك في مصداقيتها وتصبر على أنها تحمل في داخلها تصورات شمولية للمجتمع والثقافة والتاريخ والكون. ودائماً ما تكون السرديات الكبرى ذات طبيعة سلطوية وإقصائية تمارس التهميش ضد كل أنواع الخطابات الأخرى الممكنة". <sup>14</sup>

وفي النقاشات الثقافية المعاصرة تعددت التأويلات التي تدرج الآخر ضمن سياقات مختلفة، لكن أبرز تأويلات الآخر وتمثيله في الثقافات التقليدية والمجتمعات المتخلفة تتمثل في تلك العلاقة التي تقترن بالاستجابات العنصرية والمرتهبة من الأجانب ويرى كونيلْيوس كاستورياديس أن "العجز الواضح عن تكوين الذات كذات للمرء من دون استبعاد الآخر .. إنما هو قرين بالعجز عن استبعاد الآخرين من دون الانتقاص من قيمتهم، ومن ثم كرههم، وفي عملية وجود الآخر، تسلط مشاعر السخط والعدوانية والكراهية على من يعتبرون أشخاصاً قرياء أو ثقافات غريبة على نحو خطير".<sup>15</sup>

ومن خلال تلك الخصائص لسردية الذات عن نفسها يقع الآخر الحميم ضحية لتصوراتها الشمولية أي ضحية للإقصاء والتهميش والنفي والتغيب، بيد أن تلك السردية لا تفعل فعلها وأثرها على الأفراد إلا كسلطة جماعية غير قابلة للاعتراض أو للمسائلة، وطبيعة اشتغالها على وعي الفرد وتأثيرها فيه أشبه بإكراهات العقل الباطن، فهي هنا تتجلى ضمن نطاق التفكير الذي هو أشبه بالتأبؤ، أي ذلك التفكير المسكوت عنه. ولهذا فإن ردود فعل الجماعة تجاه الآخر الحميم هنا تمارس إكراهاتها ونفيها لذلك الآخر بعيداً عن أي تكييف أو معنى واضح لفعل النفي والإقصاء، بل عن أي حد أدنى لمعنى القيمة الإنسانية للإنسان.

ووفق هذه الحالة، تنعكس صورة الآخر الحميم أمام نفسه كحالة من حالات الاغتراب، والحيرة، والتناقض، فهو هنا يجد نفسه تماماً حياً تنازعات نفسية شديدة قد لا يعرف تبريرها العقلاني والإنساني في سلوك الذات الجماعية حياؤه، ولا في خضوعه لتلك التمثيلات التي تفرضها تلك الذات عليه، لكنه يظل مضطراً للتكيف مع تلك التناقضات إلى حدود قصوى، إما أن تؤدي في النهاية إلى انفجارها بصورة واضحة لتعارضها مع الفطرة الإنسانية، وفي هذه الحالة



سيكون الآخر الحميم هو صاحب القرار في ذلك، وإما أن تتحول علاقات الذات مع الآخر الحميم إلى علاقات ايجابية وإنسانية، وفي هذه الحالة سيكون ذلك التحول نتيجة لاهتزازات كبرى في وعي تلك الذات وهي اهتزازات لا تسمح بها في العادة التحولات السريعة في المجتمعات المحافظة، كما أنها تأتي نتيجة لجملة من الشروط والمفاهيم المتصلة بالوعي والفردية، والاتصال والاختلاط الإنساني العميق بمجتمعات العالم الحديث.

هكذا سنجد محنة الآخر الحميم في المجتمعات المحافظة، والمنغلقة على سردياتها الخاصة؛ محنة فريدة ولا يمكن أن تخضع تناقضاتها إلى شروط الوعي الإنساني، ولا إلى القياس الأخلاقي العام في العلاقات الانسانية، بقدر ما تخضع لإكراهات وضغوط تفرضها السردية الخاصة للذات بوصفها تابو مسكوت عنه، وعلى أحد طرقي العلاقة وفق منطق التابو هذا - وهو هنا الذات في مواجهة الآخر الحميم - تأسيس ردود أفعاله بطريقة تناقض الفطرة الإنسانية عبر إيقاع أفعال تتميز بالنفي والإقصاء والتهميش والتغيب بطريقة غير مفهومة ولا معللة، خصوصاً حيال الآخر الحميم ما يعني أن ضغط مجتمع كامل يقف وراء تلك التصرفات التي هي بمثابة: "تتميط ثقافي يتعلّق برؤية جماعة من الجماعات لعناصرها وتاريخها ولرؤيتها لغيرها من الجماعات"<sup>16</sup>.

وهكذا يمكننا أن نرى طبيعة ردود الأفعال التي ينتجها الأفراد العاديون والخاضعون لسردية تصور الذات الجماعية عن نفسها دون قدرتهم على تغيير سلوكهم، خوفاً من السمعة السيئة، أو من العزل والتشويه الذي سيصيبهم في حال قبولهم بالآخر الحميم الذي يشاركهم علاقة خاصة. وهنا تتحول الاستجابة لتصورات الذات الجماعية، تحدياً ضد الفطرة يشغل على قمع الإحساس الإنساني، ويحوّله إلى نقيض، فتتحول عاطفة الحب إلى كره، والقبول إلى

رفض، والانتماء إلى نبذ، والقرباة إلى إنكار، وهذا تماما ما عاناه بطل الرواية هوزيه / عيسى خلال تجربته مع عائلة أبيه في الكويت.

### المبحث الثاني: الخصائص النفسية للآخر الحميم في الرواية: تطرح

الرواية صورة الآخر الحميم، مجسدة في بطلها هوزيه / عيسى من خلال العديد من الثيمات والموضوعات التي تعبر عن أحوال وخصائص نفسية للبطل في جملة علاقاته مع أحداث الرواية.

ففي حين يشغل القسم الأول من الرواية حياة هوزيه / عيسى في الفلبين مع والدته، بطريقة جسد فيها الكاتب تماهي البطل مع حياته الفلبينية، إلى حد يشعر القارئ بأن الرواية مترجمة عن الفلبينية - كما سنتناول هذا في فصل مستقل - إلا أن هناك في تلك الحياة الفلبينية لعيسى، ثمة صورة ذهنية أخرى لبلد آخر هو الكويت، وهي صورة بدت متوازية مع حياته الواقعية في الفلبين، هذه الصورة الانطباعية والمثالية للكويت تأثر بها البطل هوزيه / عيسى من ذكريات أمه جوزفين. وتعكس صورة الآخر الحميم في رواية ساق البامبو مجموعة من الخصائص النفسية للبطل تتجلى بوضوح من خلال صفحات الرواية، وعبر الكثير من موضوعاتها المتصلة ببطل الرواية هوزيه / عيسى.

**اغتراب الذات: هوزيه / عيسى منذ البداية يعاني ما يشبه اغترابا في مكان نشأته، وبالرغم من إحساسه بالألفة في المكان الذي عاش فيه طفولته وصباه، إلا أنه كان يختزن تصورا آخر للعيش في بلاد أبيه، ذلك أن والدته جوزفين التي تركت الكويت مكرهة، بعد حدوث حملها من راشد، ظلت ترسم باستمرار لطفلها العالم الذي يليق به من حيث العيش والانتماء، وبهذا ظل هوزيه مشدودا إلى الكويت بفعل الصورة الذهنية التي رسمتها له والدته، ومن خلال هذه الازدواجية التي ولدت لديه اغترابا عززه ذلك النسب البعيد عن أهل والدته ظل هوزيه / عيسى يعيش على وقع الحلم الذي ينتظره في الشباب بالعودة**

إلى موطن أبيه، كما أن أحوال الفقر المدقع التي كان يراها في البيئة من حوله، بموازاة ما رسمته له والدته من أحوال السعادة وعوالم الثراء التي سيجدها في موطن أبيه، كانت حافظاً له ليرتبط بذلك الحلم، ثمّة أسباب أخرى جعلت من هوزيه / عيسى مغترباً عن واقعه؛ حيث وجد من جده لوالدته صنوفاً من العنت والعناء والقسوة في المعاملة على خلفية نسبة الغريب، جعله أكثر نفوراً من العيش في ذلك المكان رغم حبه له. ولهذا عندما تعرف هوزيه / عيسى بعد ذلك على بعض الشباب الكويت أحس معهم بألفة وحميمية أيام عمله في ميناء بوراكاى.

وبالرغم من أن تقنية السرد الروائي جعلت من اللقاء الأول لهوزيه / عيسى بالشبان الكويتيين الخمسة، تمهيداً لأحداث أخرى تجري فيما بعد بمدينة الكويت، إلا أن ذلك اللقاء الذي طرب فيه هوزيه / عيسى وتغنى ورقص فيه مع الشباب كان بمثابة طيف ما لحياة قادمة في موطن أبيه. إن الكاتب حين يرسم تلك الألفة من خلال السياق يوحى للقارئ بالكثير من الدلالات والمعاني المتصلة بالحنين المفتقد والغامض إلى جذور بعيدة. يقول هوزيه / عيسى واصفاً شعوره بعد ذلك اللقاء مع الشبان الكويتيين: "تتملكني رغبة في أن أتبعهم ... أن أناديهم هيا! توقفوا اسمي عيسى. أنا واحد منكم ... انتظروني".<sup>17</sup> كما يتصل الاغتراب بمعنى التيه في بعض الحالات التي يتعرض فيها هوزيه / عيسى لضغط الواقع المغترب وإكراهات الحياة التي تضعه باستمرار على سؤال الذات في كل مرة "من كان بوسعه أن يقبل بأن يكون له أكثر من سوى من تاه في أكثر من اسم، أكثر من وطن، أكثر من دين".<sup>18</sup>

**الحيرة:** تعكس شخصية هوزيه / عيسى بعض ملامح الحيرة الناشئة من طبيعة وضعه الملتبس بين بلدين، ولغتين، ودينين. وبالرغم من أن بدايات عيسى في أرض ميندوزا التي عاش فيها في الفلبين، كانت بتعميده في الكنيسة على

يد خالته آيدا إلا أنه لم يشعر يوماً من الأيام بذلك الانتماء إلى المسيحية يقول هوزيه / عيسى عن هذه الحالة "ليس هناك ما يميز علاقتي بالكنيسة في بلاد أُمِّي فزيارتي لها قليلة جداً"<sup>19</sup> ومن هذا الالتباس نشأت الحيرة. وتتجلى ظلال الحيرة في أكثر من وجه، وبصورة تخترق جميع الحالات التي حاول فيها أن يندمج في المحيط الذي وجد نفسه فيه. وبالرغم من أن الكاتب حاول أن يجعل علاقة هوزيه / عيسى بالأديان علاقة إنسانية عابرة لمختلف الأديان، إلا أن انعكاسات الحيرة كانت تلتبس هوزيه / عيسى أمام كل تجربة حاول أن يقترب فيها من الدين يقول هوزيه / عيسى في هذا المعنى الإنساني لموضوع الدين: "هل يجعل مني التعميد مسيحياً، وهل قبلت بالمسيحية دينا في طقس حضرته في حين كانت ذاكرتي لا تتسع لشيء بعد ... لكل منا دينه الخاص، نأخذ من الأديان ما نؤمن به، ونتجاهل ما لا تدركه عقولنا، أو نتظاهر بالإيمان، ونمارس طقوساً لا نفهمها خوفاً من خسارة شيء نحاول أن نؤمن به".<sup>20</sup>

إن هوزيه / عيسى الحائر بإزاء هويته، ولغته، ودينه، يتعرض لمواقف أخرى تضعه في أحوال أشد حيرة، فيما كان يظن تلك المواقف التي زادت من حيرته سبباً للقضاء على حالة الالتباس والحيرة التي عاشها طوال حياته في الفلبين، وهكذا حين جاء هوزيه / عيسى إلى الكويت وجد نفسه أمام جملة من التناقضات المحيرة. بحيث أصبحت قدرته على العيش بحالة طبيعية تتطلب منه جهداً خارقاً للتماسك النفسي والوجداني أمام تلك التناقضات التي تبرز أمامه.

أولى العجائب التي واجهته منذ مجيئه إلى الكويت هو أن غسان صديق والده الذي وفى بوعدده وجاء بهوزيه / عيسى من الفلبين إلى الكويت - كما وعد والد هوزيه قبل موته - غسان نفسه كان بمثابة مفاجأة لهوزيه، حين علم هذا الأخير أن غسان رغم سحنته الكويتية واندماجه في المجتمع الكويتي

وصداقاته العميقة مع عائلة الطاروف إلا أنه - مع كل ذلك - من (البدون) أي أنه ليس كويتياً. ومحروم من امتلاك الجنسية الكويتية. يقول هوزيه / عيسى: "هو بدون أكره هذه التسمية التي لا أفهمها، رغم ترجمة غسان لها، هو بلا جنسية خلق هكذا ... لو كان سمكة سردين منشأها المحيط الأطلسي لأصبح سمكة أطلسية، لو كان طائراً في إحدى غابات الأمازون لأصبح طائراً أمازونياً، أما أن يولد أبواه في الكويت، ويولد هو الآخر حيث ولدا، لا يعرف أرضاً سواها، يعمل في سلكها العسكري، ويدافع عنها زمن الاحتلال فهو بدون! ... بدون له خمسة إخوة كويتيين فلتوا هم، وسقط هو في حفرة القانون ... من أجل الرب ما هذا التعقيد يا غسان".<sup>21</sup>

هكذا تصبح حالة غسان المحيرة لهوزيه / عيسى بمثابة تدريب وتمارين على حياته القادمة في الكويت، والتي ستصبح أكثر غرابة من حياة غسان ذاتها.

اغتراب هوزيه / عيسى وحيرته في المجتمع الكويتي: منذ البداية واجه هوزيه / عيسى في الكويت مفارقات اجتماعية جعلته أكثر حيرة واغتراباً، وخلقت لديه تشويشاً كبيراً للصورة الذهنية التي رسمتها له والدته جوزفين عن مصيره الذي كان يحلم به في الكويت، فمعاناة هوزيه / عيسى التي لحقته لقاء قبوله بالرغبة في الاندماج داخل عائلة أبيه كانت أكثر من قاسية، فقد تلقى ضربات نفسية موجعة جعلته يشك في إمكانية العيش بإحساس طبيعي كأحد أفراد تلك العائلة، ذلك أن سبب ذلك التعامل القاسي الذي لقيه من معظم أفراد العائلة في الكويت لم يكن نابعا من حقيقة كونه ابناً لراشد عيسى الطاروف بل كان نابعا من حساسية السمعة في مجتمع يعيش عليها، وفي عائلة بنت سمعتها التاريخية داخل المجتمع الكويتي الصغير على نقاء الأصل، وعراقة المحتد، بحيث يصبح معها وجود هوزيه / عيسى بملامحه الفليينية وسحنته

الآسيوية الصارخة بين أفراد تلك العائلة بمثابة تدمير لسمعتها تماما أمام بقية العوائل الكويتية العريقة التي تنافسها في السمعة. فهوزيه / عيسى نفسه كان قد عرف من قبل، أن قرار طلاق أبيه لأمه كان خوفا من تشويه السمعة التي تزري بعراقة الأسرة، فقد قالت له أمه من قبل: "القرار لم يكن في يد أبيك لأن مجتمعا بأكمله يقف خلفه".<sup>22</sup>

لقد وجد هوزيه / عيسى منذ البداية تلك المفارقة التي لم يتوقعها مطلقا حين حطت به الطائرة لأول مرة في مطار الكويت؛ فملاحه الفلبينية فقط هي التي جعلت موظف المطار يطرده من الصف في الصالة عندما وقف أمامه ضمن طابور الكويتين، وسمع منه كلاما قاسيا لم يكن يتوقعه: "دستت كفي في جيب البنطلون وقبل أن أخرج منه الجواز صرخ بي الرجل بطريقة فضة صفعتني، أشار بيده نحو الطابور الآخر حيث يقف الفلبينيون ومواطنو الدول الأخرى ... ذهبت مسرعا إلى الطابور الآخر".<sup>23</sup>

بيد أن المفارقة الأشد إيلاما كانت في رفض العائلة له، وعدم قبولها به عضوا فيها للأسباب المتصلة بالسمعة والمكانة، فحين يسأل هوزيه / عيسى غسان متعجبا من هذا الوضع ويقول له "ما شأن الناس بقبولي عند أهلي وكيف سيعرف الناس بحكايتي"<sup>24</sup> يجيبه غسان قائلا: "كلام الناس هنا سلطة .. ثم إنها ليست حكايتك، هي حكاية عائلة الطاروف، الكل سيعلم بالأمر، فالكويت صغيرة".<sup>25</sup>

لقد وجد هوزيه / عيسى نفسه أمام مفارقة كبيرة، وفضاء اجتماعي مختلف، تعمل على ضبطه وتنظيمه قوانين أخرى. فما يعرفه هوزيه / عيسى معرفةً طبيعية وإنسانية قابلة للتعقل في أي مجتمع إنساني، كان بالنسبة له لغزاً كبيرا في هذا المجتمع الذي من المفترض أن يكون جزءا منه بصورة من الصور، فهوزيه / عيسى استعصت عليه: فكرة عدم تقبل عائلة الطاروف له كأحد

أعضائها أو جزءاً منها لا لأسباب تتصل بعدم كونه ابناً لراشد عيسى الطاروف، ولا لحقيقة الاقتناع بهذه البنية من قبل العائلة، وإنما خضوعاً لقانون السمعة الاجتماعي ذي السطوة القاهرة والإكراهات العنيفة على سلوك الأفراد في المجتمع الكويتي، وهو قانون يتغذى في عمقه البعيد من فكرة عدم تقبل الآخر المختلف، ولو كان هذا الآخر آخر حميمياً وقريباً، كما في حالة هوزيه/عيسى وعلاقة القرابة التي تجمعهم بعائلة الطاروف فالسمعة التي هي (أطول من العمر) كما في بعض الأمثال العربية ظلت هي الهاجس المقيم لعائلة الطاروف حيال طبيعة علاقتهم بهوزيه / عيسى، كما أن ملامح هوزيه /عيسى الفلبينية الصارخة كانت هي أخرى تذكيراً مستمراً لجميع أفراد عائلة عيسى الطاروف بخطورة ذلك الهاجس المقيم أي هاجس المحافظة على سمعتها، ذلك أن الحفاظ على سمعة عائلة الطاروف باعتبارها إحدى عائلات الكويت العريقة، يضاعف عليها تحمل تكاليف وأعباء تلك السمعة، فهي من ناحية عائلة كويتية عربية، ومن ناحية ثانية عائلة عريقة في تاريخ الكويت، وفي ضوء هذه التحديات والتناقضات التي وقعت فيها العائلة، كانت الجدة غنيمة تلعب غسان صديق المرحوم عيسى راشد الطاروف والد هوزيه / عيسى لأنه كان السبب في جلب الأخير إلى الكويت، فيما كان غسان بفعله ذلك يحقق وفاءً لصديقه المرحوم عيسى الطاروف. بيد أن لعائلة الطاروف رواية أخرى لسبب إحضار غسان لهوزيه / عيسى من الفلبين إلى الكويت.

وتكمن ذروة المفارقة في طبيعة امتداد الاسم العائلي لأسرة الطاروف؛ فراشد الذي كان الولد الوحيد للشيخ عيسى الطاروف لم يخلف إلا هوزيه / عيسى ومع شدة العائلة ورغبتها الملحة - لاسيما الجدة غنيمة - في أن يرث العائلة ذكر من صلب عيسى الطاروف، تصطدم بمفاجأة غسان للعائلة

بإحضار هوزيه / عيسى من الفلبين إلى الكويت، تنفيذًا لوعده كان قد قطعه على صديقه راشد والد هوزيه / عيسى قبل أن يقتل.

بيد أن هذا الوفاء الذي قام به غسان تجاه ابن صديقه راشد له تأويل آخر وفق سردية العائلة، وضمن حرصها على مكانتها وسمعتها. فالجدة غنيمة رأت في استقدام غسان لهوزيه / عيسى علامة شؤم حل على العائلة، وفي الوقت نفسه عمل انتقامي من غسان الذي رفضت العائلة زواجه من هند الطاروف أخت صديقه المرحوم راشد، وعمة هوزيه / عيسى، لكن غسان أيضا هو شخص مغترب عن المجتمع رغم انتمائه المتبسط له، فغسان من طائفة (البدون) وهي طائفة تعكس حالة جماعية فريدة من الاغتراب داخل المجتمع الكويتي، إذ تتطوي بعض أوضاع (البدون) على مفارقة قد تصبح فيها العائلة الواحدة مثلا، بعض أفرادها حاملين للجنسية الكويتية فيما يصبح بعضهم الآخر غير متمتع بذلك الحق.

ولقد كانت مفارقة غسان واغترابه الفريد بمثابة التخفيف الذي جعل من خوزيه يتحمل حالته المغتربة، والإنكار المستمر لأن يكون شخصا منتميا لعائلته التي هو جزء منها.

بيد أن العائلة لم تخلو من بعض التعاطف مع هوزيه / عيسى من بين أفرادها، لاسيما أخته خولة وبعض عماته. لكن في نهاية الرواية يعجز عيسى عن الاندماج في العائلة الصغيرة، رغم محاولاته المتكررة، كما تعجز العائلة عن تقبله ضمن أفرادها نتيجة للضغوط التي تقع فيها سواء لناحية البنية العصبية والعائلية القائمة على النفور من الآخر المختلف، أو لجهة الحفاظ على السمعة والمكانة التي تتمتع بها عائلة الطاروف كإحدى عائلات الكويت الكبيرة.



يعود هوزيه / عيسى إلى القلبين؛ إلى المكان الذي وجد فيه تصالحا كبيرا مع نفسه ويتزوج من بنت خالته، التي هي أيضا نصف فلبينية ونصف لجهة أبيها الأوربي الغامض. وينجب ولدا يسميه راشد على اسم أبيه.

### المبحث الثالث: مأزق الذات من خلال خضوعها لمقولات المجتمع:

من خلال التأمل في طريقة اشتغال تلك القيم وتمثلاتها على حياة الناس يمكننا قراءة هوية أي مجتمع وتفكيك دلالتها الإنسانية، ورصدها عبر مجموعة من آليات القراءة والتحليل التي قد تفضي في النهاية إلى تكوين رؤية عامة بميزان معرفي يختبر دلالة المعنى وطرق إنتاجه، وطبيعة استجابة المجتمع لتلك القيم المرجعية، وما إذ كانت تلك القيم في ذاتها تتطوي على معان إيجابية قابلة للتمثل العقلاني.

بيد أن آليات اشتغال قيم المجتمع تأخذ طابعها في وعي الأفراد بطرق مختلفة، وتؤثر في إنتاج مواقفهم المتأثرة بتلك القيم عبر العديد من الأنماط السلوكية، والمختلفة في استجاباتها من مجتمع إلى آخر.

في بعض الأحيان قد يكون من الصعب على أفراد المجتمع تفسير سلوكياتهم ومشاعرهم غير العقلانية تجاه الفرد والجماعة، ومع ذلك يتمثلون تلك المواقف والسلوكيات استجابة لإكراهات قيم المجتمع وخوفا من النبذ، أو افتقاد المكانة التي تتوفر لهم في المجتمع من خلال ذلك التماهي.

تطرح رواية ساق البامبو عبر بطلها هوزيه / عيسى هذه الإشكالية بصورة عميقة جدا، وتكشف عن الكثير من التناقضات التي يعبر عنها أفراد المجتمع في استجاباتهم غير العقلانية بل وغير المبررة، فقط من أجل التماهي مع المجتمع، ويتجلى ذلك المأزق من خلال سمتين أساسيتين:

**السمة الأولى: السمعة:** يتجنب جميع أفراد عائلة الطاروف في الرواية فكرة إدماج ابن العائلة الغريب هوزيه / عيسى، وذلك التجنب لم يكن بسبب إنكارهم لتلك البنوة من حيث إثباتها أو واقعيتها وحقيقتها، وإنما بسبب الخوف من (سوء السمعة) الذي قد يلحق بعائلة الطاروف حين توافق على ضم فتى ذي ملامح فلبينية إلى أفرادها ذوي الملامح العربية الصريحة، والتي هي موضع فخر تلك العائلة العريقة في المجتمع الكويتي. ومع إصرار هوزيه / عيسى على رغبته في أن يكون فرداً في تلك العائلة بجدوى الانتماء إلى أبيه المتوفى راشد الطاروف تقوم العائلة ببعض التدابير التي تحاول من خلالها استقطاب التناقضات، فهي من ناحية تعلم تماماً أن هوزيه / عيسى هو ابن العائلة، ولكنها تخاف من إعلان تلك الحقيقة أمام المجتمع جهاراً. والشخص المسيطر على العائلة ماما غنيمة رغم رفضها القطعي لإدماج هوزيه / عيسى في العائلة، إلا أنها تقبلت الأمر بالبقاء في ملحق في أعلى المنزل.

مع هذه المحاولة الدائمة لعدم إدماج هوزيه / عيسى في العائلة نتيجة لتلك الملامح المختلفة في وجه هوزيه / عيسى الذي يشبه وجه أمه الفلبينية جوزفين، لكن أحياناً تأتي المفارقة لتضع أحد أفراد العائلة أمام الحقيقة، فعندما سمعت هند صوت هوزيه / عيسى لأول مرة تذكرت فجأة صوت أخيها لكنها قالت لهوزيه / عيسى: "غريب. نظرت إليها أنتظر تفسيراً لما هو غريب، أردفت: لك صوت راشد كأنك هو يلبس وجهه غير وجهه".<sup>26</sup>

فعمته هند تجد في صوته غرابة، والغرابة هذه نابعة فقط من معرفة الصوت وإنكار ملامح الوجه، فيما لا يجد هوزيه / عيسى أية غرابة لأن صوته هو يخرج من ذات الوجه الذي ينتمي إليه! بيد أن المفارقة الكبرى بدت عندما سمعت ماما غنيمة صوت هوزيه / عيسى لأول مرة "فتحت ماما غنيمة عينيها على اتساعها، رفعت يدها عن طبق الرز أمامها وضعت مرفقها على الطاولة وأسندت

جبينها على كفها. ارتبكت. نظرت خولة وعمتي هند إليّ. قلت لهما: (أتمنى أن لا أكون قد قلت شيئاً أزعجها)، لم أفرغ من كلماتي حتى وجدت جدتي تمسك بطرف الشال الملقى حول رقبتهما بإهمال لتغطي به وجهها. انخرطت تبكي من دون صوت. جسدها يهتز بقوة ... التفتت عمتي هند إليّ، أنفها أحمر وعيناها تلمعان بالدموع. قالت: (أمي تقول .. لك صوت أبيك)<sup>27</sup>. في هذا الموقف يتجلى صراع مكتوم بين الحقيقة والمظهر، بين السمعة والاعتراف كما بين العاطفة والموقف. لكن في النهاية تنتصر السمعة على الاعتراف، والمظهر على الحقيقة، والموقف على العاطفة.

ونتيجة لهذه التناقضات التي تعيش فيها عائلة الطاروف حيال إشكالية هوزيه / عيسى يتحول قبول هوزيه / عيسى قبولاً ناقصاً في العائلة، أو قبولاً غير رسمي، أي في أن يكون سراً ومتداولاً فقط بين أفراد العائلة، لهذا أيضاً كانت الصفة التي أقام بها هوزيه / عيسى في ذلك الملحق من منزل آل الطاروف هو فقط بصفته خادماً فلبانياً.

هكذا تمنع سطوة السمعة والخوف من إكراهاتها الاجتماعية، ومن ضغوطها كسلطة القاهرة؛ تمنع آل الطاروف وعلى رأسهم الجدة غنيمة من الاعتراف بهوزيه / عيسى كابن وحيد، وصاحب الاستحقاق الأوحد في حمل لقب سلالة الطاروف الذكورية، وتحرمه من ذلك الحق، مع شدة حاجة تلك الأسرة إلى من يحمل اسمها الذي لا يحق لأحد سواه!

ولهذا تستحوذ السمعة على نفوس آل الطاروف في مواجهة الضرورة والحاجة والحق الذي يملكه هوزيه / عيسى بذلك الانتماء. وهنا نجد أن سلطة السمعة التي يفرضها المجتمع تعيد إلى هوزيه / عيسى تأكيد مقولة أمه جوزفين: "لم يكن في يد أبيك؛ لأن مجتمعاً بأكمله يقف وراءه".<sup>28</sup>

فهذا المجتمع بسطوته وضغوطه القائمة على الحفاظ على السمعة التي تمتلكها عائلة الطاروف فيه، والتي نالها بموجب تمثلها لقيمه في مقابل تضحيتها بالحقيقة، وبحاجتها الملحة إلى وريث يرث سلالة آل الطاروف هو فقط، هوزيه / عيسى لكن مادام هذا الوريث لا يتقبله المجتمع، ولا يحمل ملامحه، بل سيكون في قبوله من العائلة رفضاً لها من المجتمع، وفي دخول هوزيه / عيسى إليها خروجاً لها من ذلك المجتمع الذي تتمتع فيه بتلك المكانة؛ لكل ذلك تضطر عائلة الطاروف إلى نبذ ذلك الوريث مع حاجتها إليه، وإلى تهيمشه وإقصائه بصورة مستمرة، مادام يعيش في الكويت.

وبالرغم من أن ذلك الإقصاء والنبذ غير مبرر لا من ناحية بنوة هوزيه/عيسى لراشد الطاروف، ولا من حيث شرعية تلك البنوة، إلا أنه بالرغم من ذلك تلجأ عائلة الطاروف تحت ضغط المجتمع وخوفاً من السمعة إلى ذلك التهميش، بيد أن إكراهات المجتمع لا تنعكس فقط على الأفراد العاديين أو حتى التقليديين من أمثال الجدة غنيمه بل تنعكس كذلك كسطوة قاهرة حتى على مشاعر الشخصيات المستتيرة في العائلة، إلى درجة تضع العمة هند في حالة تناقض أصلي وعميق تجاه مبادئها ومصداقيتها وشهرتها كناشطة سياسية في حقوق الإنسان، فهي تبدو أشبه بالعاجزة تماماً أمام إشكالية الحق في الانتماء الذي يطرحه هوزيه / عيسى على عائلة الطاروف. فرغم أن هذه القضية فضلاً عن كونها قضية ذاتية بالنسبة لهند الطاروف هي أيضاً قضية تقع في صميم اشتغالها وضمن أهم اهتماماتها الحقوقية إلا أنها تبدو عاجزة ومتبلدة تماماً أمام سطوة السمعة. هكذا يردد بطل الرواية هوزيه / عيسى مأزق عمته هند حيال محنته هذه قائلاً: "عمتي هند كانت في حيرة من أمرها هي هند الطاروف الناشطة المعروفة في حقوق الإنسان (مصداقيتي) أمام الناس على المحك... (واسمي كذلك) كانت تقول وكانت لا بد أن تضحى بأحدهما: مصداقيتها أو

اسمها. أن تتمسك بحقي كإنسان يعني أن تضحي بنظرة الناس لاسمها البراق إذا ما عرفوا بأمر زواج أخيها الشهيد راشد الطاروف من الخادمة الفلبينية .. الأمر الآخر أن تضحي بمبادئها لتقف ضد حقي كإنسان يعني محافظتها على بريق اسمها ونظرة المجتمع لها .. أو أن تحافظ على الاثنين: مبادئها أمام الناس، واسمها عن طريق التضحية بوجودي بينهم قبل أن يكتشف أمري".<sup>29</sup>

هكذا انتصرت السمعة على الحق عند آل الطاروف، وجعلتهم عاجزين عن فعل الصواب، وما يمليه العقل والضمير، ليكشفوا بذلك عن الإكراهات الخطيرة للمجتمع التي يفرضها على خيارات أفرادها ليتمثلوا قيمه العامة التي تراضى عليها، بغض النظر عن قضيتي الخطأ والصواب.

لقد كان وضع هوزيه / عيسى أشبه بالتابو أو العيب، الذي يظل مسكوتاً عنه باستمرار والذي يربع الجميع في حال الكشف عنه، ولأن (الكويت صغيرة) كما يردد الشباب الكويتيون أصحاب هوزيه / عيسى الذين تعرف عليهم في الفلبين ثم لقيهم بعد ذلك في الكويت، فحين صرح لهم هوزيه/عيسى ذات جلسة، بأن هند الطاروف - وكانوا ناشطين في حملتها الانتخابية - هي عمته، أصبح الوضع صعباً بالنسبة له بعد انتشار الخبر. فكان لا بد أن يتخذ قراراً بمغادرة الكويت بعد أن أصبح وضع العائلة وسمعتها على المحك. وهكذا غادر هوزيه / عيسى الكويت بعد أن أصبح عاجزاً عن الاندماج في عائلته الصغيرة، ومن ثم عاجزاً عن الانتماء لوطن أبيه؛ الذي ضحى أبوه من أجل الدفاع عنه إبان الغزو العراقي للكويت. هكذا يكون وضع "الهامشي أو المهمش الذي يعجز عن أن يتمثل خارج مساحاته الزمنية المختزلة أو خارج أمكنته المحدودة".<sup>30</sup>

**السمة الثانية: رفض الآخر:** تكشفت الرواية خلال صفحاتها وأحداثها عن مغزى عميق لرفض الآخر المختلف، ولو كان هذا الآخر آخر حميماً يشاطر

بعض أفراد المجتمع جوهرًا مشتركًا. فالسمة النابذة للآخر في وعي المجتمع وعقله الباطن هي: الاختلاف سواء أكان ذلك في اختلاف ملامح هوية الشخص عن النمط العام لسحنات الوجوه التي يعرفها المجتمع أو حتى لجهة الاختلاف اللوني، بالإضافة إلى اختلاف آخر كشفت عنه الرواية وهو ذلك الاختلاف الذي تفرضه الذاكرة الرسمية للدولة والذاكرة القبلية العامة تجاه جماعة (البدون). ف(البدون) الذين ينتمي إليهم غسان هم جماعة ذات وضع عجيب تشكل تجسيداً عميقاً لرفض الآخر في الوطن، ولقد عبر غسان خير تعبير عن هذه الجماعة، حين قال لهوزيه / عيسى: "البدون يا عيسى، جينة مشوهة. تتعطل بعض الجينات ولا تصل إلى الأبناء، أو تتجاوزهم لتظهر في الأجيال اللاحقة من ذريتهم، إلا هذه الجينة الخبيثة فإنها لا تخطئ أبداً. تنتقل من جيل إلى آخر محطمة آمال حاملها".<sup>31</sup>

لقد بدا ذلك الرفض العميق للآخر أشبه بالبديهة التي لا تحتاج إلى تفكير أو تأمل في ذاتها، وهذا الإحساس شبه الطبيعي بذلك الرفض هو الذي يضحخ المجتمع في لاوعي أفراده نتيجة للعديد من السرديات التي تتصورها الذات الجماعية عن نفسها.

لقد كان رفض هوزيه / عيسى من قبل عائلة الطاروف مرتبطاً بمعجزها عن تصور صورة أخرى من الذات تلبسها وتختلف عنها في الوقت عينه، أي تشاركها جوهرًا مع اختلافها ذلك. ولم تقبل الأسرة هوزيه / عيسى إلا لمجرد أن ملامحه الفلبينية الآسيوية ستظل بالنسبة للعائلة تذكيراً مستمراً وأمام المجتمع بأن هناك في عضويتها من يختلف عن سحنتها كعائلة في المجتمع الكويتي. وهكذا ينظر لهذا الاختلاف الذي انطوى عليه هوزيه / عيسى من خلال سحنته الفلبينية، على أنه غريب ولا يحق له الاندماج في العائلة، دون أي تفسير عقلائي

لذلك الرفض أو مبرر أخلاقي، لاسيما وأن هذا الرفض يصبح أحياناً مبرراً لأنه كان سبباً لحلول الشؤم، كما تعتقد ماما غنيمة مثلاً.

ولصعوبة التستر على وضع هوزيه / عيسى الإشكالي في العائلة لاسيما في بلد صغير كالكويت انفجرت التناقضات. ذلك أن الرفض الذي يمارسه المجتمع حيال الآخر الحميم ليس رفضاً شخصياً أو فردياً، بل رفضاً تفرضه الذاكرة الجمعية للمجتمع الكويتي. وهو رفض ينعكس بدوره على مشاعر الفرد داخل العائلة، مما يضطر بعض أفراد عائلة الطاروف إلى تقبل هوزيه/عيسى فقط بطريقة سرية وخاصة، فقد كانت أخته خولة من أبيه، تحبه كثيراً وتتمنى أن يبقى معهم، وتشعر تجاهه بإخوة حقيقية، وكذلك عمته عواطف ولكن فقط من خلال الشرط السري والخاص للقبول، فقد كانت العائلة مع هذا الحب من خولة لأخيها هوزيه / عيسى تفرض عليها أن لا تختلي بأخيها!، ضمن إطار السرية الذي ينبغي أن يحيط بتلك العلاقة بين هوزيه/عيسى وعائلته في الكويت، لهذا لم يكن خطأ هوزيه / عيسى القاتل هو بسبب إخبار أصدقائه الكويتيين بأن هند عمته، بل كان الخطأ القاتل في أنه لم يطلب منهم أن يحتفظوا بسر تلك القرابة التي تربطه بعمته هند!.

هكذا يصبح رفض الآخر حالة عامة بإكراه الذاكرة المجتمعية، دون أن يصبح بالضرورة حالة خاصة أو فردية وسرية في الوقت عينه، يقول هوزيه/عيسى: "لم أخطئ حين أخبرت صديقي بعلاقتي بهند الطاروف، ولكنني أخطأت حين لم أطلب منه الاحتفاظ بالأمر سراً - كما أرادت عائلتي - يا لهذه الصغيرة .. لو كانت كبيرة هل سأضطر لكل ذلك؟ كيف يتسنى للمرء العيش مع كل ذلك الحذر الذي يجب أن يتوخاه في تصرفاته وحديثه وتحركاته؟ أي عار هذا الذي أجلبه لعائلتي حتى وأنا بعيد عنهم؟ وما هي تلك السلطة التي يملكها الناس على بعضهم البعض؟"<sup>2 3</sup>، إن قبول التعايش مع تناقضات حالة

الرفض التي واجهها هوزيه / عيسى من عائلته عائلة الطاروف هو الذي جعله يقع في تلك (الأخطاء) التي هي ليست بأخطاء إلا برسم التابوهات التي وضعتها عائلة الطاروف على ذاكرته. لقد كان على هوزيه / عيسى يلغي عقله، ويقمع فطرته، لكي يتعايش مع ذلك الرفض اليومي الذي يتجلى لها في مفردات حياته بصورة جعلته في حالة أشبه بالحالة العدمية "عقلي كاد يضمير مثل عضلة مهملة. لم أنو استخدامه قط لعله هو من فعل من تلقاء نفسه شعر بالإهمال فانتفض. من أين للهواجس هذه القدرة على صرفنا عن كل شيء عداها؟ تمر الساعات دون أن أنتبه لفرغ معدتي أو حاجتي للنوم ... كيف أمضيت كل هذا الوقت؟ لأول مرة أشعر باللاجدوى".<sup>33</sup>

هكذا انعكس الرفض الذي لقيه بطل الرواية هوزيه / عيسى من عائلته المفترضة ومن المجتمع، رفضاً لذاته التي أنكر فيها التغيرات التي طرأت عليه من جراء ذلك الرفض. ولهذا حين استحالت الأحاسيس الطبيعية لهوزيه / عيسى حيال عائلته إلى ما يشبه العذاب اليومي المستمر في قمع ذاته وخضوعه لإكراهات عائلة ومجتمع يرفضانه باستمرار؛ كان لابد له من العودة إلى الفلبين، حيث اختار أن يعيش بقية حياته ويتزوج بابنة خالته؛ لينجب منها ولداً يسميه راشد عيسى ربما إبقاء على تلك العلاقة التي تربطه بأبيه وعائلته الكويتية ولو من خلال الاسم.

### الخاتمة

عبر استعراض السمات والأحوال التي تجلت في سيرة البطل هوزيه/عيسى كآخر حميم في رواية ساق البامبو للكاتب الكويتي الشاب سعود السنعوسي؛ خلصت هذه الدراسة إلى العديد من الخصائص التي عكست طبيعة التعامل مع الآخر في الرواية، والتي هي بدورها انعكاساً فنياً للحياة الاجتماعية؛ فقد رصدت هذه الرواية صورة مظلمة للمجتمع في رؤيته للآخر وطريقة تعامله معه؛



استنادا إلى مجموعة من السرديات والرؤى التي لا تصدر عن أي معنى أخلاقي أو عقلاني يفسر ردود أفعالها تلك حيال الآخر الحميم.

استطاعت رواية ساق البامبو أن تعري تناقضات المجتمع عبر أحداثها التي كشفت عن مأزق الذات حين تتعرض لإكراهات المجتمع وسردياته حيال تقبله للآخر الحميم، كتقبل رافض ونابذ لذلك الآخر - دون أي مبرر أخلاقي أو إنساني - سوى الخضوع لتصورات المجتمع وتابوهات التي يخضع لها أفرادها بطريقة تضعهم في تناقض وحرَج مستمر مع إنسانيتهم وميولهم الفطرية.

هذه الرواية بتناولها لموضوع الآخر الحميم في المجتمع الكويتي، تكشف بجرأتها الفنية والواقعية عن الكثير من المسكوت عنه حيال هذه القضية في المجتمع الخليجي.

### المصادر والمراجع:

- 1- جميل حمداوي: (صور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي العربي) موقع دروب الالكتروني.
- 2- سعود السنوسي: ساق البامبو، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2013م.
- 3- سوسن ناجي: الأنا والآخر بين الثنائية البيولوجية والتوحد بالآخر، غادة السمان نموذجاً، مؤتمر جدلية الذات والآخر، القاهرة، جامعة عين شمس، 2002م.
- 4- شاكِر لعبيبي: السرديات الكبرى والسرديات الصغرى، مجلة البحرين الفصلية الثقافية، العدد: 66، نوفمبر، 2011م.
- 5- طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع: ترجمة سعيد الغانمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010م.
- 6- عبد الله إبراهيم: السرد والتمثيل الاستعماري للعالم، (تمثيلات الآخر في الرواية العربية، أبحاث ملتقى الباحة الأدبي الرابع، 1431هـ/2010م، النادي الأدبي بمنطقة الباحة، ومؤسسة الانتشار العربي، ط1، 2011 م.

- 7- قاموس ومعجم المعاني على الانترنت [www.almaany.com](http://www.almaany.com)
- 8- محمد نجيب التلاوي: "الذات والمهماز: دراسة التقاطب في صراع روايات المواجهة الحضارية"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م.
- 9- معن الطائي، وأمني أبو رحمة: الفضاءات القادمة: الطريق إلى بعد ما بعد الحداثة، مؤسسة أروقة للترجمة والدراسات والنشر، القاهرة 2011 م.
- 10- منصور قيسومة: الأنا والآخر في الرواية العربية الحديثة، دار سحر للنشر، تونس، 1994م.
- 11- ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، ط3، 2003م.
- 12- ناصر الدين الأسد: نحن والآخر: صراع وحوار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.
- 13- يماني العيد الرواية العربية المتخيل وبنيتها الفنية، د. يماني العيد، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2011 م.
- 14- يوسف أبو رية، الذات في الرواية العربية من التعدد إلى الانشطار، مجلة اوغاريت، باريس، 2006م.
- 15-

### الهوامش:

- 1 - سعود السنوسي، كاتب وروائي كويتي.
- 2 - ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، ط3، 2003م، ص21.
- 3 - انظر: ناصر الدين الأسد: نحن والآخر: صراع وحوار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.
- 4 - سوسن ناجي: الأنا والآخر بين الثنائية البيولوجية والتوحد بالآخر، غادة السمان نموذجاً، ص: 151 - 174.

- 5 - عبد الله إبراهيم، السرد والتمثيل الاستعماري للعالم، (تمثيلات الآخر في الرواية العربية، أبحاث ملتقى الباحة الأدبي الرابع، 1431هـ/2010م، النادي الأدبي بمنطقة الباحة، ومؤسسة الانتشار العربي، ط1، 2011م، ص 412.
- 6 - يوسف أبو ريه، الرواية العربية بين انشطار الذات إلى تعدد الآخر، ص: 19.
- 7 - منصو قيسومة ر: "الأنا والآخر في الرواية العربية الحديثة"، 1994.
- 8 - النعمي حسن، الرواية السعودية واقعها وتحولاتها، ص 39-40.
- 9 - محمد نجيب التلاوي: "الذات والمهماز: دراسة التقاطب في صراع روايات المواجهة الحضارية"، 1998.
- 10 - جميل حمداوي (صور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي العربي) موقع دروب الإلكتروني.
- 11 - المصدر السابق.
- 12 - صالح بشير - مقال (عن الذات والغيرية .. الآخر مؤسسا) مجلة كلمن الفصلية عدد: 3، 2011 م.
- 13 - قاموس ومعجم المعاني على الانترنت [www.almaany.com](http://www.almaany.com)
- 14 - معن الطائي وأمني أبو رحمة، الفضاءات القادمة: الطريق إلى بعد ما بعد الحداثة، 2011، ص: 65.
- 15 - طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس، 2010: مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع: ترجمة سعيد الغانمي، ص 41.
- 16 - شاكر لعبيبي: السرديات الكبرى والسرديات الصغرى، مجلة البحرين الفصلية الثقافية، العدد: 66، 2011.
- 17 - السنعوسي، سعود: ساق البامبو، ص 151 - 152.
- 18 - نفسه، ص 151 - 152.
- 19 - نفسه، ص 151 - 152.

- 20 - نفسه، ص 65.
- 21 - نفسه، ص 192 - 193.
- 22 - نفسه، ص 77 .
- 23 - نفسه، ص 185 .
- 24 - نفسه، ص 210.
- 25 - نفسه، ص 211.
- 26 - نفسه، ص 233.
- 27 - نفسه، ص 249.
- 28 - نفسه، ص 77.
- 29 - نفسه، ص 223.
- 30 - يمّني العيد الرواية العربية المتخيل وبنيتّه الفنيّة، د. يمّني العيد، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2011 م، ص 20.
- 31 - السنعوسي، سعود: ساق البامبو، 2013، ص 228 .
- 32 - نفسه، ص 366.
- 33- نفسه، ص 303.